

جودي رايت (1915-2000) Judith Wright

مضى على غياب الشاعرة الاسترالية "جودي رايت" سنة وبضعة اسابيع نسينا في صخب الاحداث المستجدة ان نذكر بهذه الشاعرة الخضراء الظل, الذكية الفؤاد, التي نذرت شعريتها للامور الانسانية, قضايا الابوريجينين وحماية البيئة . عذرا جودي رايت فالشعر ينسى في خضم الانبي واليومي والمستجد

محطات في حياتها

ولدت جودي رايت عام ١٩١٥ في احدى ارياف نيوساوث ويلز (أرميدال) لعائلة تعود جذورها الى اول استيطان عرفته منطقة هنتر فالي (١٨٢٠) . ترعرعت في قلب الريف بين المزارعين والراعاة فنما في وجدانها حب عميق للطبيعة ظهرت بواده في بواكير اعمالها الادبية. بدأت تعليمها الاولي بالمراسلة. ويقال انها بدأت كتابة الشعر منذ السادسة من عمرها بتشجيع من والدتها . في الثانية عشرة من عمرها , بعد موت والدتها, التحقت بمدرسة نيو انكلند للبنات, حيث اكتشف احد الاساتذة موهبتها وشجعها على كتابة الشعر . ومنذ ذلك الحين انطلقت مسيرتها الابداعية . . . قال فيها الشاعر الناقد أ. د. هوب أن ل "رايت" مواهب طفولية نادرة وموهبة طبيعية متمثلة بالقدرة على تخييل ما يمكن ان يتولد في الكلمة من معان, وانفصال عن العالم المعاش . بمعنى ان الشاعرة لم تنغمس بكليتها في هذا العالم بل تقف جانبا تراقب, تستمتع, تحب وتتفهم .

انتسبت رايت الى جامعة سدي عام ١٩٣٣ لدراسة الادب الانكليزي وكانت غايتها تثقيفية اكثر منها حيازة درجة جامعية. فكان ان المت باللغتين الفرنسية واللاتينية إلى جانب مطالعتها الواسعة والمكثفة في مختلف انواع العلوم والمعارف, من ادب وتاريخ وعلم النفس وانثروبولوجيا وفلسفة وما الى ذلك . ولعل لتلك الثقافة المتنوعة التي اغتنت بها الشاعرة اليد الطولى في اثناء موهبتها الشعرية. لم يشبع نهم رايت ما امنته لها الكتب والمؤلفات, بل قصت الينابيع التي فجرت تلك الثقافات فكان لها جولة اوروبية زارت فيها النمسا والمانيا والمجر . ثم جولة اخرى في انكلترا وسكوتلندا (بلد أجدادها) . ثم زارت فرنسا وسويسرا وعرجت في طريق عودتها على سيلان

مارست جودي رايت لسنوات قليلة اعمالا مكتبية في مؤسسات تجارية في سدي ثم ما لبثت ان شغلت منصب معيدة في الجامعة, وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية قررت العودة الى بلدتها للمساهمة في اعمال العائلة الزراعية . وفي عام ١٩٤٣ انضمت الى ملاك موظفي قسم الادارة في جامعة كوينزلاند وكانت في الوقت نفسه تقضي معظم لياليها في مساعدة س. ب. كريستين في تحرير وطباعة مجلة Meanjin التي امست فيما بعد من اكثر المجلات الادبية شهرة وانتشارا . طبعت اول اعمالها الشعرية عام ١٩٤٦ The Moving Image وقد لقي هذا الديوان نجاحا كبيرا فكان فاصلة مهمة في عمر الكاتبة الادبي , كما انه كان ذا ثقل في الحركة الشعرية الاسترالية التي كانت اخذة بالتبلور في مختلف انحاء البلاد وعلى مختلف الصعد . منذ ذلك الحين امسى تاريخ الكاتبة هو تاريخ اعمالها الادبية فظهر لها (Woman to Man(1949) & Gateway (1953) & The Two Fires (1955) Birds (1962) Five Senses (1963) The Other Half (1966)& Collected Poem 42 - 70 (1971)& Alive: Poems 71 - 72 (1973) , Collected Poems, (1942 -

(1985) . الى جانب هذه الاعمال الشعرية كتبت بعض الاعمال النقدية ومجموعة قصص قصيرة , وبعض القصص للاطفال بالاضافة الى كتابة تاريخ اسلافها في رواية بعنوان Generations of Men كما ان لها كثيرا من الكتابات في ميدان حماية البيئة والدفاع عن حقوق الابوريجينيين.

لرايت مكانة شعرية هامة ليس على الصعيد المحلي فقط بل عالميا ايضا فقد حازت على جوائز ادبية مهمة كجائزة Grace Levin وجائزة Australia-Brittanica Award for Literature . كما انها انتخبت عضو مؤسس لأكاديمية العلوم الانسانية الاسترالية. سافرت الى كندا كضييفة على مؤتمر الشعر العالمي والى الهند كممثلة عن الكتاب والمثقفين بدعوة من الحكومة الهندية لملاقاة كتابها ومثقفها. الى جانب انها كانت الاسترالية الوحيدة التي أدرجت مؤسسة بنجوان Penguin الدولية للنشر اسمها عام ١٩٧٨ كواحدة من الشعراء العالميات . فيما اعتبرت واحدة من اربعة في The Faber Book of 20th century Women's Poetry

بعد عام ١٩٨٥ اتخذت قرارا بالتوقف عن كتابة الشعر والتزمته . تقول في تبرير ذلك : ان متابعة الشعر تحتاج الى شحنات عاطفية جياشة, والمرء بعد السبعين تخبو لديه تلك الجنوة , الجنوة التي هي طوفان من شعور وحيوية . . . وقد توقفت لأن . . . حقيقة الامر . . . هو اني رايت في العالم حالة مقرفة مفزعة بحيث لم اعد اجد كلاما شعريا يجدر قوله . . . بصراحة لقد وجدت نفسي امام هذا الجنون غير قادرة على معالجة ما يحدث شعريا . . . وتوقفها عن كتابة الشعر لا يعني نضوب جعبتها الادبية بل انها ظلت, تكتب في مواضيع نثرية مختلفة خصوصا ما يتعلق منها بحماية البيئة وحقوق الابوريجينيين

الان اكثر ما شغل وقت وتفكير رايت كان في ميدان حماية البيئة . ففي عام ١٩٦٢ اسست ورأست جمعية حماية الحياة البرية . وقد قضت معظم وقتها في السفر والقاء المحاضرات واقامة الندوات وكتابة المقالات حول كل ما له علاقة بالبيئة والحفاظ على الحياة البرية, وقد انتقدتها الكثير من الاصدقاء والنقاد لانشغالها بمثل هذه الامور الحياتية التي تعيق انطلاق موهبتها الشعرية , ولعلمهم لا يدركون كم هي منشابة وفاعلة هذه الامور في نفس الشاعرة . فانغماسها في الامور البيئية لم يكن مجرد ترف هامشي بل فعل ايمان ترعرعت عليه مذ هي طفلة فقد عرف عن والدها انغماسه العميق في هذا المجال. ولا ياخذنا كبير جهد لنستشف من خلال اعمالها الادبية ما كان يعنيه لها الريف بانسانه وحيوانه ونباته . صحيح ان اهتمامات كهذه قد تعيق دورة الحياة الشعرية ولكن الصحيح ايضا ان أمرا ما اذا تغلغل في وجدان النفس المبدعة بعمق يكون المادة التي تغتذي منها الموهبة وتتبلور".

هذه بعض محطات في حياة جودي رايت التي فارقتنا في حزيران من العام الفائت , محطات قد تستطيع ان تقدم للقارئ شيئا عن عالم الشاعرة الخارجي ولكنها لا تستطيع اعلامه إلا القليل عن عالمها الداخلي. هذا العالم الذي يمكن ان نستشفه من خلال قصائدها النابضة بالمشاعر الانسانية النبيلة التي تتخطى العرق واللون والوضع الحضاري وتصر على انسانية الانسان في المطلق.

Generations of Men (الاجيال) . . . صراع الطبيعة والتاريخ

يروى مؤلف جودي رايت (2) Generations of Men قصة صراع عائلتها لثلاثة اجيال في البلاد الجديدة استراليا. لقد بدأت العائلة حياتها في هنترفالي / نيو ساوث ويلز ثم انتقلت الى كوينزلاند واستقرت اخيرا في

نيو انكلند . ويستعرض الكتاب ما حققته هذه العائلة من انجازات منذ البدايات المبكرة الى يوم اسست الجدة "ماي رايت" البيت الكبير ذا الحجارة الباردة والغرف العالية السقوف . البيت الذي تقول فيه انها بنته ليكون واحة امان لها ولعائلتها . ثم تنتقل الكاتبة لتصف لنا حياة "البرت رايت" الشقية المستوحدة , زواجه والصعوبات التي واجهته في كونزلاند وقلقه الدائم على المصير في بلاد "العنمة" والمراعي.

رغم ان العنوان يوحي ببطولة ذكورية إلا ان الجدة "ماي" هي محور الحدث , وفي معرض الحديث تتعرض الكاتبة من خلال وصفها لحياة عائلتها الى ظاهرة عامة في حياة المستوطنين البيض وهي حرصهم على نقل اسلوب الحياة ونمط العيش الاوروبيين الى هذه البلاد الجديدة ومحاولتهم المواءمة بين طبيعة البلاد والطرز الاوروبي القديم الذي نشاوا عليه , ورغم كل ما حققته ظلت "ماي رايت" قلقة لا تحس الايمان , فانتهكات المستوطنين الجدد لا تنقطع , ومع ذلك فقد كانت تنفق كل مايمكنها الحصول عليه من الاموال في شراء المزيد من العقارات. ورغم امتلاكها للكثير من العقارات, الا انها لم تحس بالانتماء لهذه الارض , فجنورها لم تذهب بعيدا بعد في تربتها . فرغم محاولات آل رايت الجادة للتأقلم في البلاد الجديدة ورغم الخبرة التي كسبوها في التعامل مع الارض, إلا انهم لم يستشعروا الارتباط بها مطلقا.

لا يلعب الابوريجينيون دورا فاعلا في القصة, اللهم الا ما كان من امرهم كاجراء مساعدين في بعض الاحيان , او مثيري شغب بوجه الجماعة التي تنتزعهم من ارضهم . لقد احسن آل رايت معاملتهم إلا انهم بالنسبة للجدة "ماي" ظلوا امرا عصيا على الادراك, تحس تجاههم انها مسكونة بذلك الرعب غير المبرر الذي كان يدفع الرجل الابيض الى قتلهم فور مشاهدتهم. واستندراكا نقول: ان تحسب البيض منهم لم يكن سببه ذلك التخريب المادي البسيط الذي كانوا يحدثونه احيانا, وانما لانهم كانوا تهديدا بنخرب اشد واعمق , تخريب يطال المنشآت التي اقامها الرجل الابيض على الارض دون اعتبار لما يحسه هؤلاء حقا مكتسبا لهم هذه المعاملة الصعبة حاولت جودي رايت ان تتخطاها بعد عشرين عاما من كتابتها لرواية "الاجيال" Generations of Men فكان لها "صرخة من اجل الاموات" Cry for the Dead "3" حاولت فيها ان تخطو فوق هذا اللانتماء برواية قصة الاستيطان كما يراها الابوريجينيون , وبما ان هؤلاء لم يتركوا وثائق تشير الى تلك الحقبة, فقد كان عليها ان تعتمد تسجيلات المستوطنين البيض, وقد هالها ما راته من مجتمع يقوم على الجريمة والعنف ويكتسب غناه الفردي بإتلاف وتخريب الارض وانسانها

تبدأ "صرخة من اجل الاموات" بوصف لبلاد غنية باغاني الابوريجينييين واحتفالاتهم , بلاد تؤمن للابوريجيني كل ما يحتاجه في هذه الحياة. ثم لا تلبث هذه البلاد ان تمزق نتيجة الامراض والخلل الاجتماعي الذي سببه انتشار المستوطنين الاوروبيين , ومن ثم بما الحقه هؤلاء من نبح وتقتيل باسلحتهم البربرية . تعرض جودي رايت في كتابها هذا, القصة من كلا الجانبين : الخراب الذي اصاب اهل البلاد الاصليين ومقاومتهم لهذا التخريب, ثم ما نتج عن ذلك من فعل اباداة للقبائل التي وقفت في وجه هذا التقدم . والماساة في رايها لا تكمن فقط في فعل الابدادة بحد ذاته بل بذلك الغرور الثقافي الذي حال دون استيعاب المسألة, بالاضافة الى غريزة التملك والجشع التي اقفلت الباب في وجه كل علاقة سوية ممكنة بين الطرفين تعتبر "صرخة من اجل الاموات" تاريخ واطاءة للتاريخ. تبدأ بتثبيت حق الابوريجينييين ومعارضة المفهوم الذي يعتبرهم بدائيين بالقياس الى المستوطنين البيض . وتصر رايت على ان ما لديهم من تقنيات تفي حاجاتهم . حالتهم الصحية الجيدة , تنظيمهم الاجتماعي المتوازن, وموروثهم الفني من غناء ورقص وتصاوير تجعلهم جديرين بالاعتبار اناسا سويين, فلا هم آلهة ولا هم حيوانات متوحشة. تقول : كان "الودجا" اناسا سويين . معظم خلافاتهم كانت تدور حول المرأة. يخافون الموت مثلهم مثل غيرهم , لا يثقون بجيرانهم ويغيرون

عليهم كالآخرين. يعشقون خارج نطاق القانون , يخطفون نساء وازواج بعضهم متخططين القوانين التي تواضعت عليها الاعراف . يتبعون في تنظيم عيشهم اعرافا تواضعوا عليها لتسيير امورهم الحياتية, فهم ليسوا بحاجة الى حكومة او اوامر من سلطات عليا . لا يطمعون بما لدى الاخرين , لا خدم عندهم ولا اسباد . لا تمايز ولا طبقات في سلمهم الاجتماعي الا للمتقدمين في السن او من اؤتوا موهبة عالية من الفطنة والذكاء. ولعل انتفاء الجشع وحب التملك من نفوسهم, جعلهم ضحايا سهلة للبيض الذين احتقروهم واعتبروهم شيئا ما فوق مستوى الحيوان بقليل.

أما في شعرها فقد كتبت مخاطبة الذنب الجمعي مع اشارة خاصة لعلاقة , ابيض / ابوريجني , وتعترف الشاعرة بالفوارق الاجتماعية. الطفل الابيض المتفوق مقابل الاسود الدوني " لم يكن مسموحا لي ان الهو معها " . . . وتشارك الشاعرة زميلتها الابوريجينية "كاث ووكر" حزنها على الطبيعة وما اصابها من إتلاف وتخريب , إلا انها تعي ان عمق الهوة بينهما تجعل لقاءهما غير ممكن, فرغم كل ما بينهما من امور مشتركة , شخصية وسياسية وادبية إلا انهما تصطدمان بحقيقة لا مجال لانكارها او حلها

ستطيع ان نتبادل احزاننا
ولكن حزني وحزرك مختلفان
.....
سكين يفصل بيننا "٤"

وبعد ان تستعرض رايت مجمل الفوارق العرقية بين الابوريجينيين والبيض , وترتكز على الذنب الذي ارتكبه الابيض يحق هؤلاء الناس بدافع الاستيطان والاستعمار وتعرض الماسي التي سببتها القوة المستعمرة , بعد كل هذا تعترف للزميلة الكاتبة انها غير قادرة على الاشتراك معها في حلم واحد بل تطلب من زميلتها: " كاتي , يا اختي , صاحبة القلب الممزق " اعكسي اللعبة المميته للمحتلين والظلمة وجهي نصل السكين ناحيتي كامرأة بيضاء تتحمل وزر آباءها . . . ذنوبهم وخطاياهم السكين بيننا , ساقلبه من الطرف الاخر
القبضة من ناحيتك
السلاح المصنوع من عظام بلادك
لاحق لي باخذه " ٥ "

مسألة المرأة

نلاحظ انه لدى قراءتنا لاي عمل ابداعى نسوي اننا نبدا بالبحث عن العلاقة بين هذا العمل وحركة التحرر النسوية وإذ نفعل ذلك ندعي حسن المقصد, فما نحن بصده هو ايجاد ادوات تساعدنا على فك مغاليق ذلك العمل . . . و"رايت" التي هي ابداع عصرية على التصنيف, ابدت امتعاضا من زجها في هذه المعركة التي برزت قوية في السبعينات من هذا القرن. فهي, من ناحيتها, رات فيها حركة انفصالية تعتمد مبدا التظلم والشكوى في مواجهة خصومها . لذا لا نرى لها اي مشاركة في المقطعات الادبية التي جمعتها كايت جينغ عام ١٩٧٥ بعنوان Mother I'm Rooted مع انها كانت في مثل هذا الوقت قد كتبت قصائد مثل "حواء الى بناتها" Eve to her Daughters التي هي تحية احترام لمكانة المرأة في دورة الحياة الطبيعية . ان القيمة الكبرى التي رأتها "رايت" في الامومة ناتجة عن كونها مهتمة في تحديد العناصر الاساسية

والعالمية لقيمة المرأة اكثر من تحديد مواقع تاريخية لفئة محددة من النساء . ان حواء في قصيدة رايت هي ام بالغريزة , ترى نفسها مرتبطة ارتباطا عضويا بالرجل " حيثما يذهب آدم كنت اذهب راضية معه . رغم انتقاداتها الحادة له وعدم رضاها عن نهجه وسيره الاعمى وراء الالة التي يسعى من ورائها ان ينافس الله في جنته . رغم كل ذلك فهي تورث هذا الارتباط لبنتها معتبرة إياه من العيوب الوراثية التي لا فكاك منها " انتن بناتي , ترثن عيوبي الخلقية كلها , انتن راضيات باللاحاق بأدم الى خلف حدود الوجود" . اذن فحواء جوذي رايت هي حواء الطفلة التي ترعرعت في نيو انكلند وشاهدت شواذ مجتمعها فاستوعبته وان لم تكن راضية عنه . فجوذي رايت مثل جدتها حواء تعرف الاجحاف الواقع عليها في مجتمعها ولكنها لا تعالجه بالصراخ والاحتجاج بل بالتجاهل . لذا لم تشر مطلقا لذلك الاجحاف الشخصي الذي اصابها نتيجة التقليد المتبع في مجتمعها , والذي هو استثناء المرأة من الارث في المجتمع الريفي. لم تشر رايت الى هذا الموضوع علنا حتى عام ١٩٧٥ وكان ذلك في مقالة مختصرة وقد ذكرتها كمسالة نسائية اهملتها الحركات التحررية النسوية"٦".

لقد كانت نشأة رايت في ظل الحربين العالميتين واعمالها التي كتبت في تلك السنوات تعكس تطور الوعي بخصائص البيئة الاسترالية وتاريخ انسانها , في حين انصب اهتمامها في ما بعد على تحديد العلاقات الانسانية في طور نشونها البكر : المرأة , الطفل والرجل , كونهم النواة الاساسية للحياة . فمن تاريخهم الخاص المتكامل يعمم التكامل على كل ما هو موجود في الطبيعة . وهي ترى ان علة فقدان هذا التناغم, هو تصميم آدم على خلق نفسه سيد العالم . عندما قرر ان يخضعه ميكانيكيا لخدمة مصالحه , فحول بذلك نفسه الى الله الذي لا يخطئ والذي ليس له وجود . . . و في كل اعمالها المتأخرة تصر رايت على التنكير, ان رفض قبول هذا الاخر هو اصل كل المصائب . الحل لا يكون فقط بالعودة الى الطبيعة نفسها التي تحتوي العنف الذي يستخدمه الانسان ضدها , ولكن بالحب الذي يعرف كل النقائص ومع ذلك لا يزال يملك الشجاعة كي يعطي دون مقابل.

من حواء الى بناتها Eve to Her Daughters

لا . . . لم اكن أنا البائدة.
الملتجئة الى الكهوف الباردة.
الجائعة في المطلق, الكاححة خلف الرغيف.
المصغية لنحيب الاطفال .
ورغم ذلك ما شكوت, ما قلت اني غير سعيدة,
كنت راضية بالذهاب حيث شاء لي آدم الذهاب.
تأقلمت بما فرض علينا من عقاب , إنها الحياة.
إلا ان آدم , كما تعلمين . . . !
ما برح يفكر مكتئبا بالاهانة
بالخدعة التي مورست علينا بالزجر والتوبيخ.
اكتشف نقصا في ذاته
عمل على إصلاحه.

خارج الجنة , لم تكن الارض مثالية.
الفصول لا تني تتغير , التربة سريعة الانزلاق
كان عليه ان يجهد ليكسب رزقنا , ما كان ذاك ليرضيه.
حتى انه تنمّر من طعامي,
(صعب ان تنافسي الجنة)

ومن ثم بدا سعيه.
يجب ان تمسي الارض جنة بديلة
التدفئة المركزية, تنجين الحيوان
الحاصدات الالية, المولدات الاستهلاكية
المصاعد, البرادات
ووسائل الاتصالات الحديثة
وتعليم عال ل "أبل" و "كين"
وباقى افراد الأسرة
تستطيعين ان تتصورى كم ان كبرياءه قد تأذى

في هذه العملية , كان عليه ان يفكك كل الخيوط المتشابكة
فهو قد اعتقد أن في الالية
يكمن السر كله - كان دائما ذا تفكير آليّ
ذهب الى عمق عميق الالة
هاتفا في ذهابه, إذن , هذا هو سرها!
والان ما دمت أني قد عرفت سرها , فلماذا , سعيت

جاهدا لاختراعها
ما دمت لا استطيع عرضها لا للاله ولا للاخر,
وما لا يمكن عرضه
يعني انه غير موجود
أترين , لقد كان دائما حسودا

أجل لقد وصل الى لب المسألة
حيث لا شيء مطلقا يمكن عرضه
ومن ثم فهو غير موجود . ولكنه رفض
ان يتقبل النتائج
إترين , كان دائما مغرورا انانيا(متبجحا)

كانت الحياة أكثر دفئا في الكهف
لا شيء من هذا كان يحدث لنا
وانى لاقتراح , ولأجل سلامة الاولاد ,
أنه قد حان لك ان تستلمي الدفة

ولكنك ابنتي , تتوارثين كل عيوي الخلقية
انت مستسلمة صاغرة , تتبعين آدم
الى ما وراء الوجود
فالعيوب الخلقية لها منطقتها الخاص
وهي ابدا عالية الحضور
لاحظت ذلك ب "آيل" و "كين"

قد تكون تلك الحكاية المسهبة
هدفت منذ البداية
أن تظهر هذه الحقيقة, ربما كان هذا هو السر كله
ربما انه لا شيء حقيقي (مستقر موجود) إلا اخطاءنا
او على الاقل هي امور يمكن عرضها

ولكن , لا فائدة من عرض
اقتراح كهذا على آدم
لقد حوّل نفسه الى اله
الاله الذي لا يخطيء, ومن ثم غير موجود "٧"

ملاحظة: اشكر لمؤسسة "كورتيس براون" سماحها, نيابة عن الشاعرة, ترجمة هذه القصيدة

هوامش

(١) - المعلومات الواردة في هذه المقدمة مستلخمة من

- (a) - Australian Literature, John Maclaren, Longman Chesire, Melbourne, Australia, 1989, pp: 157 - 160
- (b) - Australian Writers and their Works, A. D. Hope, Oxford University press, Melbourne, 1975 , pp: 3-7
- (c) - A History of Australian Literature, Ken Goodwin, Macmillan , London & others, 1986, UK, p. 126 - 132
- (2) - The Generation of Men, Judith Wright, Oxford University Press, Melbourne, 1959
- (3) - Cry for the Dead, Judith Wright, Oxford University Press, Melbourne, 1981)
- (4-5) - Collected Poems, 1942 - 1985, Judith Wright, Angus & Robertson, Sydney, 1994 p: 315
- (6) - Jennifer Staus, Australian writers, Judith Wright, Oxford University Press, Melbourne, 1995
- (7) - Collected Poems, pp. 233 -234

نجمه حبيب

١٠٠٢/٩/٩٢